الأمثال العربيّة الشّعبية (حضارة وتاريخ)

د. ردينه توفيق العريضي

١- مقدمة:

نعيش في بيئةٍ عربيّة واحدة، تجمعنا لغةٌ واحدةٌ وهي اللّغة العربيّة، لغتنا الأمّ والّتي ستبقى صاحبة الجلالة بين كلّ لغات العالم لأنّها لغة القرآن الكريم، ولأنّها موسوعة كبيرة لعدّة مفردات وألفاظ تتشابه وتختلف في آن، يختلف معناها بين وضع النّقطة على الحرف أو إزالة النّقطة عن الحرف.

لغة غنيّة أرضها خصبة لكافة العلوم والفنون في ميادين الحياة مجتمعة، ومن الفنون المهمّة كان فنّ الأدب الشّعبي وتحديداً الأمثال الشّعبيّة الّتي تصوّر حياة العرب منذ الجاهلية إلى يومنا هذا تصويراً دقيقاً واضحاً ومفصّلاً. تكشف لنا الأمثال الحياة على حقيقتها بدون تجميلٍ وتزيين وتنميق، فقد أتت تشبه عاداتنا وتقاليدنا وتراثنا ومناخنا وعلاقاتنا... إلى أن أصبحت نمط ونموذج يُحتذى به ومرجع لحقبةٍ معيّنة وذلك لسهولة حفظها وتنقلّها شفهياً وبطريقة عفويّة بدون تكلّف فنُخرجُ حروف المثل في وعينا وأحياناً في اللّاوعي، لأنّه مرافقنا الشّخصي في صباحنا ومسائنا، وفي العمل والرّاحة والأفراح والأتراح.

المثل الشّعبي هو التّعبير البدائي والحديث، السّطحي والعميق، البسيط والمركّب، جميلٌ من دون زخرفة، وجداني من دون تكلّف، راقٍ من دون وسائط. يعيش فينا ونعيش فيه فنتأثّر به كثيراً لأنّه القوّة وقت الضّعف، والأمل وقت اليأس، والغنى وقت العوز، إنّه الشّفاء عند المرض، والإرادة عند الإستسلام، والنّجاح عند الفشل.

إنّه ثابت في حياتنا وفي رزنامة عمرنا، وخير رفيقٍ في كلّ ساعاتنا الطّويلة في الحزن، والقصيرة في الفرح.

١- إشكاليّة البحث:

بعدما إطّلعتُ على جملة كتب ومراجع فيما يخصّ الأمثال الشّعبيّة العربيّة ومدى إستخدامها وفعاليّة تأثيرها فيما نقوله أو نردّده في مجالسنا أو نسمعه من الآخرين، تبيّن في هذا البحث عدد من الإشكاليات الّتي كانت أكثر ملاءمة مع الموضوع الّذي تمّ إختياره، وهي:

- × هل بإنقراض المثل الشعبي وقلّة استخدامه خطورة على اللّغة العربيّة وإستخدامها؟
- × هل يعتبر المثل الشّعبي فعلاً جزء لا يتجزّأ من اللّغة العربيّة؟
- × هل لظاهرة التملّق الأجنبي وطغيان الفوضى الغربيّة (Soft American Culture) على عقول الشّباب العربي دور في طمس التّراث والأدب الشّعبي؟

٣- أهداف البحث:

لهذا البحث عدّة أهداف واضحة أهمها:

- تسليط الضّوء على الأمثال الشعبية وأهميتها كونها تتوّحد وتتآخى مع تاريخنا العربي والإسلامي، ولأنّها تجمع قصص العرب ومآثرهم وأبرز محطّات حياتهم والظروف الّذي كانوا يمرّون بها على كافة الأصعدة المعيشيّة والّتي تحمل حقيقة أخبارهم وأسرارهم وسبل عيشهم دون رياء أو مواربة.
- ضرورة وإلزاميّة المحافظة على المثل الشعبي في أذهاننا وذاكرتنا لأنه جزء لا يتجزّأ من الحفاظ على لغتنا العربيّة الحيّة النّابضة والمشرقة بحروفها وعلى رأسها حرف الضّاد.
- دافع شخصي، وهو رغبة منّي في تعريف الحاضر والغائب، والقاصي والدّاني بالمثل الشّعبي وجماله، والتّشجيع على إستخدامه دوماً لما له من وقعٍ إيجابيّ في العقول والنّفوس، ومن مفعولٍ سحريّ في تغيير وقلب عدّة مفاهيم وأهواء وقناعات من خلال ذكر مثل معيّن. فبإمكان المثل أن يساهم في تغيير نهج حياة من الدّونيّة والكآبة والتّشاؤم إلى التّفاؤل وتقدير الذّات والرّضا، وقلب الموازيين من الإستسلام والخنوع إلى الرّفض والمطالبة بالحقّ.

٤- مضمون البحث:

إذا أردت ان تعرف حضارة أمّةٍ ما، فعليك بأمثالها

نبدأ بحثنا إنطلاقا من هذا المثل الشعبي الذي يربط حضارة الشعوب بأمثالها المتوارثة والمنقولة والمحفوظة، حيث تختبئ بين حروفها مجمل تفاصيل حياة الإنسان. إنّ المثل الشعبي هو المرآة الصادقة لحضارة الأمم، إذ يصوّر لنا الواقع الحقيقي لتلك الحضارة وتلك الحقبة في كافّة جوانبها، لأنّ المثل لم يترك موضوع من مواضيع الحياة المختلفة إلّا وتطرّق إليها، وكتب فيها العديد العديد من الأمثال، فنرى الأمثال تكلّمت عن الحب والزواج والطلاق والمعتقدات والزراعة وفيض المواسم وشحّها والتجارة والطقس والمناخ والتقويم والفقر ورغد العيش والتشاؤم والتفاؤل والخير والشّر والطيبة والكره والكرم والبخل والفرح والحزن والموت والحياة والفراق واللقاء....فالمثل لم ينسَ أدنى تفصيل في حياة المجتمعات إلا وأتى على ذكرها أو كما يقال في العاميّة (لا شاردة ولا واردة إلّا وذكرها) وتحدّث عنها وعالجها وأتى بالحلّ المناسب لها. فالمثل الشّعبي تجربة إنسانية في لفظٍ وجيز ومعنى شامل قيل في مناسبة ما وينطبق على تجارب مماثلة. تعبّر الأمثال الشّعبية عن عبقرية الشّعب في إستنباط هذه الأمثال من التّجارب الشّخصيّة، وصياغتها صياغة مركّزة موجزة تعبّر عن الواقعية تعبيراً لائقاً ومطابقاً لذلك تبقى في الذّهن إلى الأبد.

بعض التعريفات للمثل في معاجم اللّغة:

إنّ معنى مادة " مثل " يتوزّع في معاجم اللّغة بين هذه المفاهيم الّتي يختلط فيها المحسوس والمجرّد، التّسوية والمماثلة، الشّبه والنّظير، الحديث، الصّفة، الخبر، الحذو، الحجّة، النّدّ، العبرة، الآية، المقدار، القالب، الفضيلة، التّصوير، الإلتصاق بالأرض، الذّهاب، الزّوال..(١)

ورد في كتاب " لسان العرب" عن هذه المادّة ما يلي: "مثل كلمة تسوية، يقال هذا مَثله ومِثله كما يقال شَبهه وشِبهه؛ قال ابن بري: "الفرق بين المماثلة والمساواة : إنّ المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأنّ التّساوي هو التّكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص ، وأمّا المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، والمثل الحديث نفسه، والمثل الشّيء الّذي يُضرب لشيء مثلا فيجعل مثله".(٢)

وقد عرّف ابراهيم الفارابي المثل بقوله: " المثل ما تراضاه العامّة والخاصّة في لفظه ومعناه، حتّى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السرّاء والضرّاء، واستدروا به الممتنع من الدّر، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرّحوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأنّ النّاس لا يجتمعون على ناقص او مقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النّفاسة".(٣)

أمّا السّيوطي فيقول في تعريف المثل نقلاً عن المرزوقي صاحب كتاب " شرح الفصيح" إنّه جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتّسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عمّا وردت فيه إلى كلّ ما يصحّ قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يوجّه الظّاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها الّتي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشّعر فيها ما لا يستجاز في سائر الكلام"(٤)

ونجد الميداني قد استهلّ كتابه " مجمع الامثال " بعرض آراء بعض أهل اللّغة والأدب والكلام، إذ يذكر رأي المبرد قائلاً: " المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثّاني بالأوّل، والأصل فيه التّشبيه.

فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحالّ الأوّل كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وما مواعيدها إلّا أباطيل

فمواعيد عرقوب أصبحت علماً لكلّ ما لا يصحّ من المواعيد".(٥)

ينتقل بعدها الميداني في كتابه إلى عرض رأي كل من " ابراهيم النّظّام " و " إبن المقفّع " في المثل قائلاً: قال ابراهيم النّظّام : "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام وهي: إيجاز اللّفظ، وإصابة المعنى، وحسن التّشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة". وقال إبن المقفّع: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأنقى للسّمع وأوسع لشعوب الحديث".(٥)

أما العسكري فقد عرّف المثل الشّعبي من ناحية تناوله ظاهرة الإقتصاد اللّغوي في المثل إذ يقول: "ولمّا عرفت العرب الأمثال تتصرّف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في حلّ أساليب القول، أخرجوا في أوقاتها من الألفاظ ليخفّ إستعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام، وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلم من كثير عنايتها وجسيم عائداتها، ومن عجائبها إنّها مع إعجازها تعمل عمل

الإطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ الموكل بما راع من اللّفظ وندر من المعنى".(٦)

ويشير الماوردي إلى التأثير النّفسي للأمثال قبل أن يعرض من خصائصها فيقول: " وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب، لا يكاد المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لأنّ المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة والنّفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجّة على خلقه، لأنّها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة.

ويؤكد الماوردي على أربعة شروط يجب أن تتوفّر في المثل الشّعبي:

١- صحّة التشبيه
٢- أن يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا
٣- أن يسرع وصولها للفهم ويعجّل تصوّرها في الوهم من غير إرتياء في استخراجها ولا كدّ في استنباطها
٤- أن تناسب حال السّامع لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً، فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة ، كانت زينة الكلام وجلاء للمعاني وتدبّراً للأفهام".(٧)

السّبب وراء وضع الأمثال:

يقول الأديب والصّحافي جورج جرداق في مقدّمة كتاب " الأمثال والحكم في مرآة الشعر" للشاعر توفيق أمين العريضي الّذي جمع في كتابه المذكور ثمانية ألاف مثل شعبي وصاغ منهم ألف وستماية مقطوعة شعريّة على الوزن والقافية مستخدماً لذلك أوزان الزجل اللّبناني (المعنّى – القرّادي – أبو الزّلف – الحدا...)

"إنّ الأمثال الشعبية الّتي يردّدها النّاس كلّ النّاس في مختلف أحوالهم الخاصّة والعامّة، لو التفتنا إلى أصولها والدّواعي إلى وضعها وسرعة إنتشارها وطول أعمارها، وإلى أنّها لغة شائعة لدى جميع الشّعوب في محتلف الأزمنة والأمكنة، لأدركنا أنّها ثمار التجارب ووليدة الأخلاق في الطّبائع والممارسات، والتعابير عن المسارع والمدارك والعقول الرّاشدة، وعن الأحداث ومدى تأثيرها وفعلها في مسيرة الأفراد والجماعات.

وفي جملة الأسباب الّتي تدعو إلى وضع نسق معيّن من الأمثال وإلى سرعة إنتشارها، أعمال السّلطة التي تمسك إدارة المجتمع وهي في جميع أقاليم الأرض ومعظم مراحل التاريخ قائمة في أكثر الأحيان على الرّدع والقمع والقتل والتفرّد في الرّأي والموقف والعمل، وعلى الإستبداد والإستكبار.

طبائع هذه السّلطة المستبدّة المستكبرة استخدام القوّة في الدّفاع عن أعمال المكر والخداع والظّلم وسائر ما تلحقه بالنّاس من سيّئات ومنكرات، الأمر الّذي يصعب على الآدميين السّكوت عنه، فيلجأون إلى إيجاز آرائهم والتعبير عن أحوالهم بكلمات قلائل ترمز إلى ما يريدون أن يفصحوا عنه من خواطر ومشاعر، وعمّا يحلمون به من أسباب الطّمأنينه والعيش الكريم.

يضاف إلى ذلك ألوف الأمثال الّتي تعبّر بالكلام الصّريح، أو بالإشارة والإيحاء إلى تجارب في علاقات النّاس بعضهم ببعض على مستوى الأفراد والجماعات، وفيما ينتج عن الطّبائع المختلفة والأهواء المتناقضة أو الميول المتشابهة، وإلى ما يؤدّي إلى الخير أو الشّرّ من اقوال وأعمال".(٨)

لماذا تعتبر الأمثال الشّعبية قيمة أدبيّة وتاريخيّة:

للأمثال الشعبية قيمة أدبية كبيرة، وهي ترتبط كثيراً بالروايات الشعبية ولقد أدرك العرب الأوائل قيمة هذا الكنز اللّغوي البليغ فتعهدوها في الدراسة والنّقل وجمعوها في كتب للأمثال كي لا تضيع أو تندثر، من هذه الكتب نذكر:

- مجمع الأمثال للميداني
- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري
- جمهرة الأمثال للعسكري
- العقد الفريد لإبن عبد ربه الأندلسي
- الأدب الكبير لإبن المقفع
- الأمثال والحكم في مرآة الشّعر العربي لتوفيق أمين العريضي الّذي أتى بسابقة في العالم العربي وصاغ من الأمثال العربيّة الشّعبيّة مقطوعات شعريّة حافظت على نفس معنى المثل وقولبته في وزن وقافية مثال:

"ضوّينا العشرة شموع" "عمد ومقطوع من شجرة" "الصّيت الحسن أفضل من مال المجموع"

أصبحت شعراً:

ضوّينا العشرة شموع
عمد ومن شجرة مقطوع
والصّيت الحسن قالوا
أفضل من مال المجموع

وغيرهم كثير من الأدباء واللّغويين الّذين حرصوا على تجميع الأمثال الشّعبية المعروفة في زمانهم خوفاً من فقدانها، وقد إعتبروها إرثاً لغويّاً تركته أجيال سبقت

زمانهم وزماننا، وتناقلتها الناس عبر الأجيال.

إنّها حكمة الشّعوب نستخلص منها كثيراً من الحِكم والنصائح والإرشادات والمواعظ الّتي تفيد المجتمع، وتساعد على بنائه وتماسكه وتآلفه بشكلٍ سليم مُعافى.

الأمثال الشّعبيّة سلوك في الحياة:

لم يعد المثل الشعبي يعتبر لوناً من ألوان الفنون الشّعبية فقط، ولكن أصبحت له تأثيرات جمّة على سلوكيّات الأفراد داخل مجتمع معيّن، قد يكون التأثير إيجابي أحياناً، وقد يكون التأثير سلبي يضرّ بالفرد وبالتالي المجتمع الذي يعيش فيه.

إنّ الأمثال الشعبية تساهم بشكلٍ غير مباشر في تشكيل أنماط وإتجاهات المجتمع ممّا جعلها محور اهتمام عدداً كبيراً من العلماء والباحثين، فهي تحمل ملامح شعب كامل كأسلوب معيشته أو معاييره الأخلاقية ومعتقداته الدينية، خاصة وإنها قد دخلت في جميع مجالات الحياة كالطبّ والزراعة والتجارة والصّناعة، كذلك ارتبطت أيضاً بالتقويم والمواسم والمناخ.

الأهداف وراء سياق الأمثال:

لإستخدام المثل المناسب في مكانه المناسب واللّحظة المناسبة عدّة أهداف أهمّها:

- الإقناع: وهو محاولة إقناع الآخرين برأي معين، أو تغيير وجهة نظرهم أو طريقة تفكيرهم من خلال استخدام المثل المناسب في الموقف والموقع المناسبين.
- تأكيد وإثبات رأي أو تبرير موقف معين
- إيجاد حلّ لمشكلة استعصى حلّها، فقد يكون ذكر المثل والإستعانة به هو الطّريقة الأنسب والأسلم.

فوائد الأمثال عند بعض الشّعوب:

للأمثال الشعبيّة دورٌ كبيرٌ في أنّها تحمل بين طيّاتها وحروفها صورة واقعية كاملة لحياة الأقدمين، وكان لبعض الدول والحضارات شهادة ورأي في الأمثال، ونذكر بعض ما عبّرت عنه بعض الشعوب حول الأمثال:

- العرب: الأمثال الشّعبية هي مصابيح الفكر
- الإنجليز: الأمثال الشّعبية هي صوت الشعب، وحكمة الشّارع، وزينة الكلام، ونصف الطّريق إلى الفكرة.
- الرّوس: الأمثال هي عملة الشّعب المتداولة
- السّويسريّون: تستطيع بالأمثال أن تشتري بأذنيك أحسن درس وبأرخص ثمن.

مميّزات الأمثال الشّعبيّة:

لا بدّ أنّ هناك أسباب كثيرة تميّزت بها الأمثال الشّعبيّة جعلتها تعيش في ذاكرة شعوبها إلى يومنا هذا، من المميّزات:

- لغتها بسيطة وعاميّة
- كلمات قليلة لقصّة طويلة وحكمة بالغة ونتيجة لتجربة معيّنة قد حدثت
- ألفاظها قليلة ومعانيها كثيرة
- ميّسرة يفهمها الأمّي والمتعلّم
- لها وقعٌ في السّمع من خلال السّجع، وتأثير في القلوب من خلال العمق
- تخترق حاجزي الزمان والمكان
- كُتبت بمعظمها في اللّهجة العاميّة
- تعمل على توحيد الوجدان والطّباع والعادات والتقاليد والمثل العليا
- وثيقة تاريخيّة اجتماعيّة
- لم تأتِ من العدم، بل وراء كل مثل قصّة وحادثة من واقع الحياة
- لا تنحصر بفئة عمريّة أو طبقة إجتماعيّة

خصائص المثل وشروطه:

إستطاع المثل الشّعبي أن يقاوم الموت والإضمحلال والزّمن متمسكاً بمجموعة خصائص ساهمت في ذلك وهي:

١- اللهجة العاميّة: بما إنّ المثل الشّعبي هو إبن الشعب، فقد جاءت لغته مطابقة للغة الشّعب الذي نشأ فيه، فلذلك لغة المثل هي العاميّة ولهجته تمثّل وتعكس لهجة المنطقة التي قيل فيها، إلا أنّ هناك أمثال عاميّة تختلف عن الأمثال الفصحى من ناحية اللغة ولكن المعنى واحد، كقولنا:

"طنجرة ولاقت غطاها" – في العاميّة

يقابلها في اللّغة الفصحى "وافق شنٌّ طبقة"

٢- الإيجاز: يأتي بإختصار شديد وبشكل موجز إلا أنّ المعنى يضمّ معانٍ عديدة وواسعة "جناح الأمّ بيلمّ"

٣- السّجع: وهي قافية داخلية في النثر تشبه قافية الشعر

" غضب الرّب من غضب الأبّ "

٤- الشّيوع: أن يكون منشوراً ومعروفاً بين النّاس

٥- مجهول المؤلف: لا نعرف مبدعه الأول

٦- قديم ومتوارث: يورث شفهياً من جيلٍ إلى جيل

٧- معبّر عن قيم الجماعة: يعبّر عن عادات وتقاليد المجتمع ويعكس أخلاقهم ويتأثّر بتجاربهم

٨- مُصيب للمعنى: يعبّر عن المعنى بطريقة صائبة

كما تناولت العديد من الأمثال استخدام اسم الجلالة في المثل للدلالة على عدة معاني، نذكر منها:

معنى الرحمة: الله بيضرب بإيد وبيتلقى بإيد

معنى الإتكال: اللي عليك اعملوا والباقي على الله

معنى الأمل: من اتكل على مولاه ما خاب

معنى الثواب والعقاب: الله يمهل ولا يهمل.(٩)

قصّة مثل

أردت من هذا العنوان ذكر قصة مثل معروف نردّده دوما في يوميّاتنا وممكن أنّ يكون الكثير ممّن لا يعرف قصة هذا المثل.

" إللّي بيدري بيدري واللّي ما بيدري بيقول كفّ عدس "

راقب شابّ منزلاً لدى مغادرة الزّوج تاركاً زوجته وحدها، فدخل الشّاب المنزل وهمّ بالإعتداء على الزّوجة الّتي صرخت مستغيثة، ولسوء حظّ الشّاب كان أوّل مَنْ لبّى نداء الإستغاثة الزّوج الّذي إستلّ خنجره لقتل الشّاب الّذي هرب بسرعة ولمح على مدخل المنزل طبقاً من العدس فأخذ ملء كفّه منه وتابع هروبه والزّوج يلاحقه، واجتمع الجيران وأوقفوا الشّابّ فقال لهم: أنظروا هذا البخيل (يقصد الزّوج) أخذتُ ملأى كفّي عدسا من طبق أمام منزله ويريد قتلي بسبب ذلك، حينها عزّ على الزّوج أن يقول الحقيقة، فردّ قائلاً: " إللي بيدري بيدري واللي ما بيدري بيقول كفّ عدس "

"عادت حليمة لعادتها القديمة"

يقال إنّ حليمة هي زوجة حاتم الطّائي الإعرابي المشهور بالكرم، وهي اشتهرت بالبخل، فكانت إذا أرادت ان تضع سمناً في الطبخ أخذت الملعقة ترتجف في يدها، فأراد زوجها أن يعّلمها الكرم، فقال لها: " إنّ الأقدمين كانوا يقولون كلّما وضعت السّيدة ملعقة من السّمن في طنجرة (حلّة) الطبخ، زاد اللّه بعمرها يوماً"، فأخذت حليمة تزيد ملاعق السّمن في الطّبخ حتّى صار طعامها طيّباً وتعوّدت يدها على السّخاء.

وشاء اللّه أن يفجعها بإبنها الوحيد الّذي كانت تحبّه أكثر من نفسها، فجزعت حتى تمنّت الموت، ولذلك أخذت تقلّل من وضع السّمن في الطّبخ حتّى ينقص عمرها، فقالت النّأس " عادت حليمة إلى عادتها القديمة".(١٠)

٥- الصّعوبات الّتي واجهت البحث:

لا يمكننا القول أنّني واجهت صعوبات بالمعنى الحرفيّ للكلمة في هذا البحث، ولكن هناك بعض المعوّقات الّتي قد أكون قد مرّيت بها قبل الإنتهاء من هذه الأوراق وأهمّها ضيق الوقت، لأنّني علمْتُ متأخرة بموعد المؤتمر ورغبْتُ جدّا في الإنضمام والمشاركة ببحث عسى أن ينال الإعجاب والثّقة، ومن الصّعوبات أيضاً عدم اهتمام الأدباء الحاليين في زماننا الحاضر بالأمثال الشّعبية وإيلائها شأناً كبيراً.

٦- الخاتمة:

نلاحظ من خلال عرض لسياق البحث الخاصّ بالأمثال العربيّة الشّعبيّة مدى أهميّة المثل الشّعبي ومدى اهتمام الناس في ترديده واستخدامه، فهو يعيش معنا داخل بيوتنا ويشاركنا تفاصيلنا اليومية، إنه الكلمة الحقّ في فصل الأمور وعنده يكون الحلّ النّهائي، وأكثر من ذلك، إنّه القدوة لنا والمقياس والقدوة في أيّ حالة أو وضع ممكن أن نمرّ فيه، فمن النّادر جداً أن يمرّ يوم ولا نلجأ فيه إلى الإستشهاد بمثل أو مجموعة أمثال خاصة عند المتقدّمين في العمر الّذين خبروا الحياة بكلّ مراحلها وتقلّباتها، وأصبحوا مرجعاً ومخزناً للكثير من الأمثال.

المثل الشعبي يكون خاتمة لكثير من مواضيع كثر الكلام فيها وقلّ، وتمّ تناولها على كافة الصّعد والمستويات، فيكون المثل العلاج الشّافي والحلّ النّهائي الأخير تماماً كما المثل القائل عند العرب الأوائل " آخر العلاج الكي".

شريط حياتنا، طفولتنا، شبابنا، كهولتنا... الطّبيعة في كلّ فصولها، حياة الأسرة، أهواؤنا، رغباتنا، شخصيتنا... جميعها ممكن أن نلّخصها أو نستنتجها بمثلٍ قريب يعبّر عن الحالة والمرحلة الّتي نعيشها.

للمثل الشّعبي ناحية علاجية تخفيفيّة عن النّفس وتضميد للجراح والمشاعر وتهدئة للنّفوس الثّائرة من خلال الإستشهاد بالكثير من الأمثال الّتي تحمل هذه الصّفة الشّفائيّة والعلاجيّة والتّخفيف من حدّة الألم والحزن وزرع

روح الفكاهة والنّهفة من خلال استخدام المثل المناسب للموقف، فعلى سبيل المثال نذكربعض الأمثال:

إنكسر الشّر – اللّه ما بيبلي تيعين – ربنا بيفتح باب القبر وبيدبّ الصّبر – مثلك يا عين عيون كثار – الرزّاق موجود – كل شي بيخلق زغير وبيكبر إلّا المصيبة بتخلق كبيرة وبتزغر – ما إلنا نصيب فين – ضاعت ولقيناها – المعاتبة صابون القلوب....

الأمثال الشّعبيّة مدرسة بالغة الأهميّة بكلّ ما للكلمة من معنى، ولا شكّ بأنّ ثقافة الأقدمين قيمة أدبيّة لا يُستهان بها لأنّهم خبروا الحياة عن قرب وكتبوا تجاربهم فيها في جميع المواضيع.

وأخيراً، أتمنّى ان تبقَ اللّغة العربيّة مرفوعة الهامة والرّاية دوماً في العالم عموماً والدّول العربيّة خصوصاً، وهذه وظيفة ومسؤولية كلّ فرد منّا أن يعي أكثر قيمة لغة القرآن الكريم، ولغة الضّاد. أمّا فيما يخصّ الأمثال الشّعبيّة فمن الضّروري أن تُدرّس مادة الأدب الشعبي في المناهج التربوية بدءاً من صفوف الثانوية لأنها تحتوي ميراث غني من المصطلحات والمآثر والعِبَر، ولما لها من أثر إيجابي في تعزيز الإنتماء القومي وشدّ الأواصر وتوثيق الرّوابط بيننا وبين الأرض والوطن والشعب والأدب عموماً.

كذلك أتمنّى أن يصبح المثل الشعبي يوما ما على شكل قصيدة مغنّاة تعتمد الوزن والقافية لكي يرسخ في أذهاننا وذاكرتنا أكثر، وهذا يتمّ عبر الموسيقى واللّحن والنّغمة التي تساعد في الحفظ بطريقة أسرع.

٧-المراجع:

١- أبو علي، محمد توفيق (١٩٨٨)، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليليّة، دار النقاش بيروت، ص ٣٢

٢- إبن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ب-ت) لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، الجزء السادس، ص ٤١٣٢ -٤١٣٦

٣- الفارابي، أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم (٢٠٠٣)، ديوان الأدب، تحقيق د. أحمد مختار عمر – الجزء الأوّل، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة ص ٧٤

٤- السّيوطي، عبد الرّحمن جلال الدين (ب – ت)، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، الجزء الأوّل، دار الجيل بيروت، ص: ٤٨٦

٥- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد ابن ابراهيم، من مقدمة كتابه " مجمع الأمثال"

٦- العسكري، أبو هلال الحسن بن سهل (١٩٦٤)، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة ص: ١٠

٧- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (١٩٨٧) ، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت ص: ٢٤٧

٨- جرداق، جورج – مقدمة كتاب " الأمثال والحكم في مرآة الشعر" للشاعر توفيق أمين العريضي – ص: ١١ – دار العلوم العربية ٢٠١٣

٩- موقع التراث الدرزي- مدرسة حرفيش الإعدادية – فلسطين المحتلة

١٠- أصل الأمثال الشعبية – منتدى العلم والمعرفة – ٢٠ كانون الثاني ٢٠١١